الجمعة 13/ذو القعدة/1436هـ
الموافق 28/أغسطس/2015م السنة 85 العدد 21331

صوت الحجاز ١٣٥٠ – ١٣٦٠
البلاد السعودية ١٣٦٥/٢ – ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٨٣
البلاد ALBILAD ١٤٣٤

تمر وجمر

محمد حسين زيدان

في المجتمعات البدائية يخشي الانسان المشعوذ، والكاهن، والساحر، والمبشر والظلام، ويرقص في العراء ويغتسل في المستقنعات، ويموت بالآفات..

وفي المجتمعات الراقية يحترم الناس الموسيقار، والفنان، والاديب، والشاعر والطبيب، والمعرفة، والبنك والطيور، والزهور، ويرقصون في الظلام مع علب الليل، ويقرأن في الصباح المجلة، والجريدة، والكتاب واحيانا يشاهدون التلفزيون.

وفي المجتمعات المنحلة يتقدم على الرجال الراقصات، والغانيات، والجاسوس، والديوث، والبلطجي، وينام الرجال كاليقظين من خبرتهم، ويستيقظون وهم نيام من فجيعتهم، ويعيشون في شيء اسمه: احدى الراحتين!".

وفي المجتمع المسلم يعييش الرجل عاملاً لغده كأنما هو حي ابدا، ويعمل لاخرته كأنما هو ميت غداً.. يحترم الفضيلة، ويحتقر الرذيلة ليسلم الناس من يده، ولسانه.

صور من التاريخ

مدينة جدة – السبعينيات الميلادية

بوابة الثميري بعد توسعتها في عهد الملك عبدالعزيز

هذه المواد نشرت بتاريخ 28- 2- 1384هـ الخميس 9-7- 1964م

صورتان : سوداء وبيضاء

بين الصورة التي كنت احمل عن المملكة العربية السعودية قبل ان ازورها، وبين ما شاهدت فيها وعرفت من تقدم، فارق اساسي هو فارق ما بين الحقيقة وتشويهها!

فلقد حملت، من خلال ما تراكم في النفس من اثار المعارك السياسية ـ ذلك التي تعمدت لتبرير نفسها، تزييف الواقع وطمس الحقائق ـ صورة سوداء قاتمة للمملكة، بعض سوادها متصل بالماضي، وبعضه الآخر متصل، وهذا مؤسف، بما اعتاد العرب ان يأخذوا به خلافاتهم السياسية، من خصومة تستبيح كل شيء في سبيل ما تبغي!

ولا انكر انني في بعض مراحل عملي، قد اسهمت بغير معرفة من للحقيقة في هذه المعركة وكنت لسنوات خلون صوتها وقلمها.

ولئن كانت الصورة فقد اختلفت في ضميري اليوم، فالفضل في ذلك يعود الى الرؤية التي اتاحها لي سمو الامير فيصل بدعوته الكريمة.

كانت الصورة تبلغ في قتامتها حدا سألت صديقاً مرة: ترى ايجيد وزير الاعلام في المملكة السعودية القراءة والكتابة؟!.. وبالطبع، لم اكن اقصد السؤال بحرفيته فقد تعمدت المبالغة، تعبيرا عن اتجاه قناتي.. اذ كنت معتقدا بأن الجهل هو القاسم المشترك الأعظم بين سكان الجزيرة العربية، وان الامية متفشية الى الحد الذي يستوي فيه حاكمها ومحكومها كبيرها وصغيرها!!

ويوم اتيح لي ان اقرأ صحيفة سعودية تساءلت: لمن يصدرون هذه الصحف ولا قراء؟!

ثم حدث بعد ذلك ان تبدلت الصورة جزئيا، وقد وضعت حدا لمرحلة من حياتي اطلقت عليها تسمية الخداع الكبير.. ولكن ظلت الصورة سوداء.

ففي قناعتي، كان، ان المملكة متخلفة الى حد مثير، وان صلة نظامها بالشعب مفقودة، والحياة في ظله اقرب الى ان تكون حياة الانسان القديم، يفترس ويفترس!

وقبل شهر، التقيت مصادفة بالاخ الصديق غالب ابو الفرج، في بيروت، واستمعت اليه بفيض في الحديث عن تقدم المملكة وتطورها، فقلت ما بيني وبين نفسي: ذلك مهمته، وعليها يقبض الاجر.. ولم اصدق مما قال حرفاً، وان كان الشك بدا يغزو نفسي.

وعفو القارئ اذا كانت خطوط صورتي حادة، فقد كانت هي الحقيقة المستقرة في ضميري.. وانا، بعد ، فيما اكتب لا اعرف المجاملة.. وادابها..

وتلقيت الدعوات الكريمة لزيارة المملكة، وكان اول المفاجأة ان الرياض التي تخيلتها قرية صغيرة، نواتها بيوت الطين وحولها المضارب، مدينة حديثة تتحدى الصحراء المطبقة عليها، من كل جانب، ذات ابنية وشوارع مضاءة بالكهرباء ويملك مواطنها قدرهاً طيبا من الخدمات، وليس غاية ما نرجو جميعا، ولكنه بالتأكيد افضل مما ينال مواطن كثير من البلدان العربية المتقدمة نسبياً.

وتتالت المفاجآت واحدة بعد اخرى، وبدأت الصورة القديمة تختفي، لتحل مكانها الصورة الجديدة، بنورها وظلالها.

فالعمران يتسع ويمتد في ارجاء المملكة القارة، ومشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية تواجه التخلف الطويل، بالارادة المصممة والعزيمة الصلبة.

والتعليم ينتشر اكثر فأكثر، ويبدأ من نقطة هنا، ونقطة هناك ثم ما تلبث ان تتبع من حول التقاط الدوائر.

ولئن كان ذلك كله ظواهر طبيعية، اذ التقدم حتم، فان مما هو ذو دلالة ابعد، تلك المحاولة الجادة لتخطيط التقدم وتكثيف الجهد فيه بما يختصر الزمن، ويعجل في استعكمال اسباب النهضة.

فلقد اتيح لي ان اطلع على ميزانية المشروعات، وان اقرأ في ارقامها الجامدة ووراءها، تلك المحاولة الجادة الجديدة بالاعجاب حقا، لحصر امكانات المملكة وثرواتها ـ وبخاصة ما يتصل بالماء ـ وهي البداية السليمة لدولة تريد ان تبني وان تتقدم، وتبقى.

وفي حدود تصوري وقناعتي ان لا معنى للتطور في البلدان المتخلفة، اذا هو لم يتقدم على كل جهة، وفي كل اتجاه.

وذلك ان تخلفنا طويل، وبعيد في الزمن، وظروف كفاحنا صعبة، وقد تجاوزنا العالم كثيرا، ولابد لنا اذا نحن اردنا اللحاق به، من ان نسير بسرعة على جبهة عريضةن يشمل التقدم فيها كل قطاع من قطاعات المجتمع والاقتصاد.

ومن الواضح ان عملية التقدم هذه نبذة بطيئة، لان امكاناتها في البداية محدودة، ثم هي تسرع بقدر ما تتوفر لها هذه الامكانات، واولها واخطرها: العنصر البشري.

فلابد للتقدم من اداة، ومن تعاون، ومن كفاءات العمل وخبراته.

كذلك لابد له من جيل متميز يضبط النفس، قادر على التمييز يعيش ظروفه جميعا ويتحرك داخلها، وفي حدود ما تسمح به وبروح طيبة، وفهم عميق، فلا تستبد به العاطفة ولا يجرفه الهوى، ولا يبتعد كثيرا عن الواقع.

ان تخلف مئات السنين لا تستطيع أن تجتازه في سنوات ولا يستطيع جيل بمفرده ان يحقق كل ما يطمح اليه ويصبو.. ولابد من ان تترك لغيرنا شيئا يحققه.

تلك نظرة موضوعية، تريد التقدم وتدرك الواقع، وتتحرك بحساب.

ومما يسعد حقا ان خطوات السير، حتى اليوم، تفتح نافذة واسعة على مستقبل مشرق.. وان الكثير ممن التقيت به من المسؤولين يملك هذه النظرة العريضة، ويمهد لتحقيق كل ما هو ممكن التحقيق فثي ظروف المملكة، وبالاساليب المشروعة، التي هي شرط كل تقدم حقيقي.

والامل معقود بأن تحقق المملكة يقودها الامير فيصل، هذا التقدم الكبير، وان تمضي في سيرها الحثيث نحو الافضل، لتكون في غد هو اقرب مما يحسب الكثيرون، نموذجاً لبلد يتقدم بلا آلام، ولا مخاوف، ولا قسر.

بقلم – نهاد القادري